المحاضرة رقم04:

تابع: التغير الاجتماعي و التغير الثقافي:

إن الحديث عن التغير الاجتماعي يقودنا بشكل حتمي للحديث عن التغير الثقافي، كون هذا الأخير يتعدى التغيرات في البناء، والتنظيم الاجتماعي، مما يشمل التغيرات التي تطرأ على كافة جوانب الحياة في المجتمع، كالأسرة والدين والفنون والتكنولوجيا، وحتى أوقات الفراغ والترويح على النفس الخ ... وهذا النوع من التغيرات إنما ينطوي على درجة عالية من التشابه والتبادل ، بمعنى أن التغير في الجزء يؤدي إلى تغيرات في البناء الكلي، فاختراع ال محرك على سبيل المثال (وما تبعه من اختراعات كوسائل النقل...) قد أدى تحول أساسي في الصناعة، كما أنه عمل أيضا على رفع معدلات الحراك الاجتماعي، فان ذلك يعني تحولات جذرية في نواحي الحياة المختلفة التي يعيشها الناس في مجتمع ما.

منحى التغير الاجتماعي في المجتمع العربي:

نظرا لتعقد العوامل المرتبطة بالتغيرات الاجتماعية والثقافية، فلم تعد نظرية التقدم والتطور تصلح لتفسير منحى التغير الاجتماعي في المجتمع العربي الذي لا يسير حتما في اتجاه واحد، يرمز للتقدم المستمر، رغم وجود تيار عام لتشابك وتعدد العلاقات مع المجتمعات الأخرى وهو ما تعبر عنه زيادة معدلات الانفتاح على العالم الخارجي في ظل العولمة مما يجعل اتجاهات التغير الاجتماعي م ختلفة وتظهر على شكل مختلفة في التفاصيل ومتشابهة في النمط العام الذي تغلب عليه التبعية في الكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية ، الثقافية، السياسية والاقتصادية مما يؤثر على كافة فئات المجتمع وعلى أنواع العلاقات والروابط الاجتماعية، وبشكل خاص على فئة الشباب مما يظهر في اختلاف نزعتهم السياسية الثقافية والاجتماعية واتجاهاتهم وأيديولوجياتهم.

العوائق الاجتماعية للتغير: هناك عدة عوامل سوف نتناولها تعمل كمعوق للتغير ومن بينها:

1 -**الرغبة في استقرار المصالح :**

ويعني هذا أن التغير يقاومه أفراد أومجموعات تخشى فقدان سلطتهاأو ثروتها إذا حدث داخل المجتمع تغير أو تجديد ما."فالعقبة العملية أمام أي تغير هي معارضة التجديد بواسطة جماعات قوية منظمة تخشىالخسارة من التغير ومثل هذه الجماعات تسمى أصحاب المصالح المستقرة.
ويحتاج البيان الواقعي لمصادر مقاومةالتغير الاجتماعي إلى إبقاء واستمرار المصالح المستقرة."[1]هذا المفهوم قدالعديد من الأ شخاص الذين يعتبرون في مواقف معينةأ صحاب مصالح بدءاسواء كانوا أغنياء أو فقراء."فالمحامي مثلا الذي يترافع في قضايا الطلاق وما شابه ذلك صاحب مصلحة في أن لا يتغيروا يتم إصلاح قوانين الطلاق وكذلك الأطباء يقاوموناكتشافا طبيا معينا لأنه يتعارض مع مصالحهم المستقرة وقس على ذلك من الأشخاص "[2]حيث يقول ريتشارد لبيير" أنه لا يوجد إنسان يقبل التغير يحطم قيمة المهارات والمعرفة التي اكتسبها وان المطالب التي يحصل عليها هي تعقيد للمهارات الجديدة و المختلفة إذ تمسك بما يملكه "[3].

2-التمسك بالسلطة:

تشير التجربة العربية تاريخيا إلى أنالسلطة في أغلب هذه المجتمعات تظهر بشكل مؤسسات غير 'ناضجة'وغير قادرة على مواكبة قرارات الجماعة **و تو** جيهها في سبيل مصاحبة تغيرات مهمة، رغم أنها تعتبر (السلطة) فيكثير من المجتمعات من بين أهم العوامل المساهمة في التغير، فنجد أن"الشخص الذي يتحدث عن مشروع فكرة معينة يكون غالبا محلا للنقد أكثر مما يمتدح على هذه الخدمة أو المشروع وقد يشك في محاولته لانتهاز الفرصة لأجل مكاسب شخصية."[4]

3-التضامن الاجتماعي لدى الجماعات الصغيرة:

التضامن بمفهومه العام ـ كما رأينا سابقا –يكون سائدا لدى الجماعات الصغيرة، فيتجلى في المجتمعات الريفية والشعبية شعور قوي بالتماسك والتضامن وينعكس على الروابط المتبادلة داخل نطاق الأسرة والصداقة، وبالتالي" فهم ينقدون أي شخص يحيد عن المبادئ المألوفة وعندما يكون أفراد المجتمع في نفس المستوى الاقتصادي وخاصة الرخاء فأنهم يميلون بوجه عام إلى إبقاء المجتمع على ما هو عليه والحفاظ على الوضع السائد"[5].

4-الطبقية الاجتماعية:

رغم وجود طبقات اجتماعية معينة تميل إلى أن تتفاعل مع التغير وتحاول مجاراته إلاّ أن أنماط الطبقة والطائفة الصارم يميل عموما إلى اعاقةالتغير، ففي المجتمعات الطبقية من المتوقع من الأفراد أن يطيعوا أوامر من هؤلاء الذين يشغلون ال مكانة العالية ، ولا يقبلون التغير الذي يطيح بمكانتهم وسلطتهم.

5-الخوفمنالمجهول:

الانسان بطبعه يخاف ما يجهله وما لا يراه ويفضل الوضع الآمنحتى لو لم يكن الأفضلف المقاومة الأولية لأي تجديد هو الخوف من المجهول أو غير المألوف أو غير المعتاد فمثلا بعض الأفراد إن لم نقل المجتمعات لا تستخدم الطائرة خوفا منها.ويفضلون السفر بالسيارة رغم نسبة التي تسجل في السيارة أكثر منها في الطائرة ."وبهذا يعتبر الخوف من المجهول أحد العوامل مقاومة التغير.

6- المكانة الاجتماعيةوالمصالح المرتبطة بها:

التغير قد يؤثر على مكانة بعض الأفراد في المجتمع فعندما تصبح مكانتهم في خطر يبدأ تحركهملمقاومة هذا التغير إذأنه في أغلب المجتمعات وعلى مر الزمن يقوم الفرد بترقية مكانته داخلالمجتمع حيث يصل إلى مركز اجتماعي معين، لكن في المجتمعات السريعة التغير لا يكون للخبرة أي أثر أو قيمة فتتهدد قيمة هؤلاء الأفراد ونتيجة لهذا فهم يقاومون هذا التجديد في الأفكار والابتكارات الحديثة فالسن لم يعد له ارتباط بالمكانة الوظيفية فالأعمال الحديثة تفضل استخدام الشباب المتعلمين تعليما عاليا واستبدال المهارات التقليدية بالآلات الحديثة.

7- حمايةالأخلاق السائدة:

إن التغير غالبا في نظر المجتمعات يعكس خوفا على المقدسات الأخلاقية ، فينتج مقاومة شديدة إذا تعارض هذا التغير مع الأخلاق السائدة إن من الضروري الإبقاء على الأخلاق السائدة .وتأتيالكثير من أشكال المقاومة من التمسك بالقيم الأخلاقية والجمالية المعتادة والمألوفة. فهناك الكثير من الابتكارات والاختراعات تعرضت للمقاومة لأنها في نظرهم تحرمهممن الأنماط والمناظر التي اعتادوا عليها.

8- الإيديولوجية:

لعل من أوضح المقاومات ضد التغير تتجلى في الجانب الإيديولوجي وأهم رجال المقاومة هم رجالالدين خاصة فيما يتعلق بتحديد النسل أو تنظيم الأسرة مثلا وعموما فان المفاهيم العقلية والدينيةوتفسيراتها بالنسبة للقوة القائمة والرعاية والأخلاق والأمن تميل إلى الاستمرار على نفس الوتيرة وإلى معارضة التغير.

9-**العقلانية(الاختيار العقلاني):**

وهنا يظهر لنا أن مقاومة التغير تنشأ من أسباب معقولة تظهر نتائجها على شكل أضرار قد تمس أو تضر النسق الاجتماعي السائد وتكون نتائجه غير عملية، كتجنب صراع معين لحفظ الارواح أو الممتلكات، وأحيانا تكون الأسباب المنطقية والعقلية للمعارضة شكلية أو واهية،مثلا كانت معارضة السرعة التي يسير بها القطار لا تتجاوز 30 ميلا على أنها تضر بالإنسان ولا يستطيع تحمل هذه السرعة إلا أنه اثبت بعد مرور الزمن أن الإنسان تحمل أضعاف هذه السرعة.